الاستراتيجيه البريطانية

فى البحر المتوسط وموقع تونس فيها

الدكتور عبد الغفار محمد حسين
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية — جامعة طنطا

١ — الاستراتيجية البريطانية فى البحر المتوسط

فى عام ١٧٩٣ استولت بريطانيا على قاعدة جبل طارق الحصينة . وكان التحالف البريطانى البرتغالى يحمى هذه القاعدة ضد احتياجات التاجوس Tagus (١) ، وساعد على استقرارها أيضاً قيام الولايات المتحدة بحملاتها ضد القرصنة فى شمال أفريقية ، ثم بعد ذلك استولت بريطانيا على جزيرة مالطة عام ١٧٩٨م ، وهى القاعدة التى وصفت بأنها (أقوى قاعدة فى أوربا) (٢) ، ثم استولت على الجزر الأيونية حول قاعدتها البحرية فى كورفو ، ومنذ بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر كان النفوذ البريطانى أقوى من غيره ، وفى سنة ١٨٠٢ عقدت بريطانيا معاهدة تجارية مع عدن(٣) فصار طريقها إلى الهند آمنا ممهداً ، وكانت أضعف مراكز النفوذ البريطانى على هذا الطريق هى مصر التى كان يحكمها محمد على ، والذى استعان بالخبرة الفرنسية ، فصار النفوذ الفرنسى فى مصر أقوى من غيره .

وبعد عام ١٨١٥ م كانت التهديدات لمنطقة البحر المتوسط تأتى من أيبريا ومن ايطاليا ومن البلقان ، فشغلت بريطانيا بهذه المشاكل حرصاً على الحفاظ على الحالة الراهنة والاستقرار فى منطقة البحر المتوسط . وذلك بعدم تشجيع قيام الوحدة فى شبه جزيرة أيبريا أو ايطاليا ، أو وقوع أحد هذه المناطق فى يد دولة قوية توحدها وتجعل منها منطقة نفوذ خطر ضد بريطانيا وسيادتها فى هذا البحر .(٤)

وكانت فرنسا تسبب قلقاً لبريطانيا فى أسبانيا ، كما أصبحت طولون فى منتصف العقد الثالث قاعدة ضخمة تنافس مالطة ، كما كانت روسيا تسبب لها قلقاً فى جزر البليار وفى ايطاليا (٥).

وعندما قامت ثورة اليونانيين ضد السلطان محمود ، وتدخلت قواته تساندها قوات محمد على لاخماد هذه الثورة ، خشيت بريطانيا من أن تتخذها روسيا ذريعة للتدخل ، أو أن تتصرف فرنسا تصرفاً خاصاً ، ولذا حرصت على دعوة هاتين القوتين للتضامن معاً فى اتخاذ عمل موحد . وفى معاهدة لندن عام ١٨٢٧م اتفقت الدول الثلاث على منح اليونانيين استقلالا ذاتياً ، وعلى أن يدفعوا الجزية للسلطان وأرسلت أسطولا مشتركاً لايقاف القتال ، ولكن حدث أن أكتسح الفرنسيون الترك فى المورة ، وفرض الروس نفوذهم فى فارس بعد معاهدة تركمانشى ، وألغى السلطان محمود معاهدة أكرمان مع بريطانيا بعد غضبة بسبب تدمير أسطوله فى معركة نوارين ، ثم تخلص السلطان من قوات الانكشارية المتمردة ، فأصبح بلا قوة ، ففرض عليه الروس اتفاق أدريا نوبلى فى سنة ١٨٢٩ . وحصل القيصر على دلتا الدانوب ووقف مع ثوار المورة ، ثم تدخل الفرنسيون فى الجزائر سنة ١٨٣٠م ، وسبب هذا كله قلقاً لبريطانيا ، ولكن الدول الثلاث عادت فاتفقت من جديد فى عام ١٨٣٣ م على منح اليونان استقلالها ، وعينت وعليها الأمير أوتوا ملكاً وأعلن الفرنسيون أن الجزائر أصبحت ملكاً لهم ، كما أن الهند ملك لبريطانيا .

وكانت السياسة البريطانية فى القرن التاسع عشر بصفة عامة لا تستمر على حال واحدة ، فى منطقة البحر المتوسط . فعلى حين وقفت هى وروسيا تساند ثوار اليونان المطالبين بالاستقلال عن الدولة العثمانية فى العشرينات كان بالمرستون ورسل مستعدان للمخاطرة بالحرب لمنع أية تصدعات فى بناء الامبراطورية العثمانية واملاكها ، فبالمرستون كان يسير على سياسة حماية مصلحة بريطانيا أولا ، ثم أن هذه السياسة نفسها لم تستمر على حال واحدة ، فقد تأثرت بمدى نمو المصالح البريطانية التجارية مع الدولة العثمانية .

وقبل عام ١٨٣٣م كانت الحكومة البريطانية لاتتبع أسلوباً محدداً نحو الدولة العثمانية ؛ وبعد موت كاننج سنة ١٩٢٧ اضطربت هذه السياسة فى منطقة الشرق الأوسط (الشرق الأدنى فى عرف ذلك الوقت) ، ولم يستطع كل من ولنجتون أو جودريس Goderich أن يرسم برنامجاً محدداً لهذه السياسة حتى انتهت حرب الاستقلال اليونانية ، ثم بعدها وفى بداية عهد بالمرستون شغل بالمشاكل القريبة منه مثل مشكلة استقلال بلجيكا والثورة الفرنسية سنة ١٨٣٠م ؛ ومنطقة الراين ، وشغلت هذه المشاكل بريطانيا عما كان يجرى فى منطقة البحر المتوسط.(٦) .

ولما قام النزاع بين محمد على والسلطان العثمانى ، وعقدت روسيا مع السلطان معاهدة انكيارا سكلسى شعر البريطانيون بالتهديدات فى منطقة البحر الأحمر والبحر المتوسط ، وفى نفس الوقت كانت قد تقدمت طرق المواصلات ووسائلها ، ففضل البريطانيون طريق الكاب ، ثم عادوا مرة أخرى سنة ١٨٢٨م ، إلى طريق البحر الأحمر أيضاً ، وخاصة بعد فتح ترعة المحمودية للملاحة (٧) ، وبدأوا يعملون لاقناع محمد على على ذلك ولكنه أرجأ تنفيذ المشروع نظراً للظروف السياسية ، ، وبعد اتفاقية انكيار اسكلسى وشعور البريطانيين بتهديدات مواصلاتهم فى البحر الأحمر فضلوا استخدام طريق القوات (٨) الذى سرعان ما أثبت عدم أهميته الكافية ، فعادوا مرة أخرى إلى البحر الأحمر وقناة السويس (٩) ، ثم بدأوا يتدخلون بالتضامن مع فرنسا وروسيا وبروسيا لفرض الاستقرار فى منطقة مصر والشام ، كما طلب السلطان من بريطانيا أن تهتم بمنطقة عدن حتى لا يغزوها محمد على (١٠)

وأثناء الصراع العنيف بين محمد على والسلطان ، والذى تهددت فيه الدولة العثمانية بقوة ، والذى وقفت فيه فرنسا مع محمد على تعطف عليه ، شعر بالمرستون بالخطر فصمم على ضرورة الوقوف فى وجه فرنسا ، وبعدم السماح لها بأية سبيل لتصبح سيدة الطريق إلى الهند سواء بطريق مباشر أو غير

مباشر(١١) واستطاع أن يحرك الروس والنمساويين والبروسيين حتى فرضوا على محمد على معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م ، واستطاع بالمرستون أن يعيد الوضع البريطانى القوى فى القسطنطينية والقاهرة وأصبح الساحل الشمالى لافريقيا ، والذى يحيط بالطريق البريطانى إلى الهند هو مثار اهتمام بريطانيا منذ ذلك الوقت ، فحرصت على أن تقف فى وجه أى سياسة تقوم بها أية حكومة لفرض نفوذها وتهديد طرق التجارة البريطانية . (١٢)

وفى ذلك الوقت أصبحت مسألة الحرص على عدم سقوط الامبراطورية العثمانية هى الشغل الشاغل لبريطانيا . وكان الرأى العام البريطانى قبل ذلك بقليل قليل الاهتمام بوسائل هذه الامبراطورية حتى كتب البعض ،(١٣) عن الدولة العثمانية ومواردها . فبدأ بعض الرجال يدرك أهمية موقع الدولة العثمانية الجغرافى فى الطرق التجارية فى البحر المتوسط ، ثم زاد الاهتمام بذلك حتى أصبح أمر الحفاظ على كيان الدولة العثمانية فى الربع الثانى والثالث من القرن ١٩ مشكلة عامة ليس فقط فى السياسة البريطانية ، بل فى الرأى العام البريطانى كذلك .

وكانت معاهدة انكيار اسكلسى كافية لتنبيه الرأى العام ورجال السياسة للخطر الروسى ، ثم الخطر الفرنسى كذلك . وبدأ الشعب البريطانى يحس بأهمية تركيا لاقتصادهم ونموه ، ولطريق مواصلاتهم إلى الهند (١٤) ، فأصبح محور السياسة البريطانية يقوم على محورين .

الأول : الحفاظ على حدود الامبراطورية العثمانية ضد أى عدوان خارجى .

الثانى : هو تشجيع النمو الداخلى لهذه الامبراطورية حتى تصبح قوية وغنيـــة .

أما البحر المتوسط ، فانه لم يأخذ أهميته فى نظر بريطانيا كطريق للمواصلات إلى الشرق بصورة واضحة إلا فى الربع الثانى من القرن ١٩ ،

وكان ذلك بسبب تغيرات صناعية ، وبسبب ازدياد الحاجة إلى المواد الخام والأسواق الجديدة الواسعة ، فقد كان تبادل المواد الخام والمواد المصنعة يحتاج إلى طريق أقصر من طريق رأس الرجاء الصالح . (١٥) .

وكانت الحاجة إلى هذا الطريق القصير قد بدأت تظهر منذ سنة ١٧٨٤م عندما بدأ جورج بلدوين يرى امكانية وجود هذا الطريق عبر البحر المتوسط وخليج السويس (١٦) ، وفى سنة ١٨٣٠م كلف البرلمان البريطانى لجنة من الباحثين للبحث عن طريق أقصر إلى الهند (١٧) ووجدت هذه اللجنة أن الطريق عبر مصر يبلغ ثلث الطريق عبر رأس الرجاء أو يزيد قليلا ، فبدأ التجار والشركات يتجهون نحوه ، وانشأت بريطانيا قنصلية لها فى مصر (١٨)

ولما بدأ الفرنسيون يدرسون موضوع حفر قناة السويس ، رأى بالمرستون أن هذا المشروع سيجر أخطاراً ومشاكل سياسية عديدة ، فعارضته بشدة ، ورأى أن سكة حديد عبر الخليج أكثر أهمية وأقل تكلفة ، وأن الطريق عبر الفرات والخليج الفارسى (العربى) ليس أكثر أهمية فقط . بل ويجنب الخطورة فى البحر الأحمر والرياح الموسمية التى كانت تهب أربعة شهور فى السنة ، ولذا فضل الطريق الذى كان تحت اشراف السلطان مباشرة ، وكان اهتمامه بطريق قصير عبر سورية والفرات سبباً فى نفس الوقت فى تقوية رغبته فى نمو صداقة بريطانيا مع السلطان والحفاظ على امبراطوريته ضد كل من يريد تدميرها (١٩)

وعلى رغم أن تجارة بريطانيا مع الهند والشرق ، كانت تمر فى معظم سنوات القرن ١٩ بطريق رأس الرجاء فانه مع ذلك لم يبد أن هذا الممر ، أو هذه الموانى التى أقيمت على الساحل الغربى لافريقية ، كانت تشجع على نمو هذه التجارة ، أو فتح أبواب جديدة لتنمية رأس المال ، وهذه المشروعات كانت مركزة فى المناطق النامية فى شمال افريقيا فى مصر وتونس ومراكش ، وكانت هذه المنطقة مهمة ، ليس فقط من أجل تجارتها ، واحتياجها لرأس المال بل وأيضاً لمكانتها فى سياسات البحر المتوسط (٢٠)

إذن صار محور السياسة البريطانية بعد سنة ١٨٣٣م فى أوسع أبوابه متأثراً بالموقع الجغرافى للامبراطورية العثمانية واملاكها فى آسيا وافريقية ، ونظراً لازدياد العلاقات التجارية بين بريطانيا وبينها ، فقد رغبت الأولى فى عقد معاهدة تجارية معها ، ولكن العقبات كانت فى الضرائب العالية التي تفرضها الدولة العثمانية على المنتجات المستوردة من بريطانيا وغيرها . وفى احتكار كثير من السلع ، وقد تحمس كثير من رجال المال والتجارة لخفض ثمن البضائع البريطانية لعل هذا يفتح باب السوق العثمانى أمامها . بل تحمسوا أيضاً لتخفيض عوائد الواردات البريطانية إن لم يكن الغاؤها (٢١) ، ورأى بالمرستون أن الدولة العثمانية يمكن أن تحقق بحرية التجارة مع بريطانيا أرباحاً أكثر مما تحققه بالاحتكارات التى تسبب الثروة فقط لفئة مختارة من الشعب التركى(٢٢) وبونسونبى سفير بريطانيا فى القسطنطينية كان يرى فى الدولة العثمانية مورداً لامكانات اقتصادية ضخمة ستفيد بريطانيا كثيراً ، فأخذ يلح على السلطان فى ضرورة مراجعة النظم الموجودة والاحتكارات التى تحد من التجارة ، وبعد سنوات وافق السلطان على بدء المفاوضات فى نوفمبر سنة ١٨٣٦م ، وقام بونسونبى بمناقشة موضوع عقد معاهدة تجارية تحدد فيها التعريفة الجمركية ، واشترك معه بعض رجال المال البريطانيين ، ورغم العقبات التى تخللت هذه المفاوضات ، ومنها قيام فرنسا بمفاوضات مماثلة جعلت بريطانيا تخشى على خطتها ، فقد تم عقد المعاهدة فى ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٨م وسميت معاهدة بلطة ليمان ، وتم الاتفاق فيها على أن :

١ — تلغى تركيا الاحتكارات التجارية .

٢ — تعترف بالامتيازات التى منحت من قبل للرعايا البريطانيين .

٣ — يسمح للتجار البريطانيين بالمتاجرة فى أى بلد من ممتلكات الدولة العثمانية .

٤ — تفرض على الواردات فى التجارة الداخلية نسبة ٣٪ ، وعلى الصادرات ٩٪ .

٥ — تنفذ المعاهدة من اول مارس سنة ١٨٣٩م .

أما الهدف السياسى من معاهدة بلطة ليمان ، فقد كان كما قال بالمرستون (أن الزيادة فى التبادل التجارى بين الرعايا فى الدولتين سوف يؤدى حتما إلى تقوية الاتحاد السياسى بين الحكومتين) (٢٤) ، وكذلك فان رفع الاحتكارات سوف (يقطع قوة محمد على فى مصر وسوريا من جذورها) (٢٥) ، ذلك لأن السلطان بتوقيعه هذه المعاهدة فانه يستطيع أن يفرض تنفيذها فى ممتلكاته ومنها مصر ، وبذلك يدمر محمد على واحتكاراته ويقلص سلطانه (٢٦) .

وكانت سياسة بريطانيا فى تعاملها مع الدول فى نحو منتصف القرن ١٩ ، وفيما قبل ذلك تقوم على أساس العمل على تشجيع التقدم الثقافى والخلقى والمادى فى العالم ، ولذا فيجب أن تتحلى الحكومة البريطانية بالعدالة والاعتدال واحترام النفس ، وأن تعامل الدول الأخرى بنفس معاملتها لها ، وبما أن التجارة الخارجية كانت ذات أهمية كبرى لبريطانيا ، وتحمل وسائل الحضارة ، فلهذا كان أول واجبات الحكومة البريطانية هو تدعيم الأمن والحرص عليه ، والذى هو أساس نجاحها وتقدمها ، ثم العمل على حماية رعاياها فى الخارج ، كما تتولى حمايتهم فى الداخل ، ولذا فذلك يعتمد على علاقات الصداقة بين بريطانيا والدول التى يعيشون فيها ، هذا وفى الوقت نفسه تعمل على عدم التدخل فى شئون الدول الداخلية . محافظة على عظمة بريطانيا وأمنها ، ولتقوية النفوذ الأدبى لها أمام الرأى العام فى العالم ، وتعمل كذلك على تقديم العون للدول حين تريد مساعدتها فى تدعيم مؤسساتها الحرة ، وتقدم للدول المستشارين حين يطلبوا .(٢٧)

أما سياستها ازاء الدولة العثمانية فقد كانت تقوم على أساس أن هذه الدولة دولة ضعيفة ، وجيشها ضعيف ، وروسيا دولة أقوى منها ، وهى تريد المضايق وتريد القسطنطينية ، ولو وصلت اليها لأصبحت خطراً على أوربا وخاصة بعد تزايد أطماع المسيحيين والعناصر السلافية فى اليونان الذين أصبحوا على درجة من الثقافة والثورة ، والذين تطلعوا إلى روميا ، وأصبح العلاج هو دفع الدولة العثمانية إلى تحسين معاملتها للمسيحيين التابعين

لها فى البلقان درءا لادعاءات روسيا ، ثم مساعدة السلطان فى الدفاع عن عاصمته وعن عرشه واملاكه ، ويستحسن فى هذه الحالة العمل على محالفة فرنسا والنمسا (٢٨) ، فقد كانت هاتان الدولتان تشاركان بريطانيا فى الحرص على ألا تقع القسطنطينية فى يد الروسيا ، وعلى هذا فيجب العمل ..

١ — على تجنب الأعمال الحربية والبحرية التى تهدد الدولة العثمانية وأمنها.

٢ — على تجنب الخلافات والمنازعات بخصوص الأمور التى تؤثر على الدولة العثمانية وحلها بواسطة التضامن الحيوى بين دول أوربا ، وعدم دفع هذه الخلافات لتضعف هذه الامبراطورية وتفككها .(٢٩) .

وهذه الأسس العامة أثرت على تصرفات بريطانيا وسياستها فى البحر المتوسط خلال القرن ١٩ م.

ولذلك فقد حرص بالمرستون وأنصاره من ساسة بريطانيا فى خلال النصف الأول منه على أن يمنعوا الفرنسيين من اقامة امبراطورية لهم فى شمال افريقية تهدد مصالحهم فى الهند ، وتوازن امبراطوريتهم ، وصمموا أيضاً على منعهم من اقامة مراكز نفوذ لهم فى طريق السويس إلى الهند (٣٠) ، فرغم الصداقة التى كانت بين بريطانيا وفرنسا ، لم يكن البريطانيون ووزيرهم بالمرستون مستعدين للتضحية بمصالح بريطانيا من أجل هذه الصداقة ، فقد قال بالمرستون لجيزو (... وكل الساحل من مراكش إلى خليج الاسكندرونة يصبح حينئذ تحت سيطرتكم ... إن هذا لايناسبنا بالتأكيد((٣١) وذلك عندما بدأت فرنسا فى احتلال الجزائر ، وعندما أخذت تتطلع بعدها إلى تونس ومراكش .

فعندما احتلت فرنسا الجزائر عارض البريطانيون هذا العمل واحتجوا عليه ، بل أنهم هددوا بالحرب إذا كانت فرنسا تريد احتلالا دائماً للجزائر(٣٢) وهنا تلقوا تأكيدات من وزراء شارل العاشر أن هذا الاحتلال لن يستمر

بدون موافقة القوى الأخرى ، وعندما جاءت حكومة لويس فيليب بعد شارل العاشر أعلنت أيضاً تمسكها بهذه الوعود ، ثم ظهر أن فرنسا تريد البقاء فى الجزائر مهما كانت آراء ومواقف الدول الأخرى ، وفى ذلك الوقت لم تكن بريطانيا تستطيع أن تدخل معها فى حرب ، ولذا فقد سكت الدبلوماسيون البريطانيون عن هذا الموضوع رغم عدم موافقتهم عليه ولكنهم بقوا يصرون على الرفض (٣٣) ، حتى إذا ماتجحت فرنسا فى اخماد مقاومة الأمير عبد القادر اعترفت بالاحتلال الفرنسى للجزائر سنة ١٨٤٣م ولكنها عندما رأت فرنسا قد بدأت تضرب مراكش وطنجة احتجت بشدة وهددت بالحرب لو أقدم الفرنسيون على احتلال المناطق التى تحيط بجبل طارق فتراجع الفرنسيون . (٣٤) .

وكانت فرنسا فى ذلك الوقت قد بدأت نشاطاً استعمارياً فى الباسفيك والأرجنتين وفارس والهند ، فأثار ذلك بريطانيا بشكل ملحوظ ، وأثار شكوكها ، حتى أن بالمرستون تصور أن محمد على الذى استقل بادارة شئون مصر عن السلطان العثمانى واحتل سورية وبلاد العرب والسودان ، وأصبح وثيق الصلة بفرنسا ، سيضع هذه الامبراطورية تحت النفوذ الفرنسى (٣٥)

هكذا نظرت بريطانيا إلى أن فرنسا تريد أن تصارع سيادتها فى البحر المتوسط ، فقد أعلن الملك لويس فيليب ذلك فى سنة ١٨٣٠م(٣٦) ، ولهذا أولى بالمرستون الوصول إلى اتفاق مع فرنسا حول تحديد التسليح فلم ينجح ، دارت فى البرلمان البريطانى مناقشات حول تقوية الأسطول البريطانى ، وخاصة البحر المتوسط .(٣٧).

ظلت بريطانيا على شكوكها من احتلال فرنسا للجزائر ونشاطها فى المناطق المجاورة ، وخاصة بعد أن ظهر أنها لاتريد ترك الجزائر ، وآثار ذلك الارتياع فى مراكش ، فأرسل بالمرستون إلى سفيره فى باريس ليذكر الحكومة الفرنسية بوعودها فيما يختص بمراكش وتونس ، وليذكرها بأن أى حصار

للشاطىء سيقابل بتأثير سيء فى الرأى العام البريطانى ، كما أن السفير أخبر ملك فرنسا فى ٩ مارس سنة ١٨٤٠م بأن بريطانيا لاتريد من فرنسا التفكير فى معاقبة سلطان مراكش لأنه ساعد الأمير عبد القادر ، وفعلا أكد له الملك بأنه لاتفكير فى ذلك ، ومع ذلك ظل بالمرستون قلقاً حتى حصل من وزير الخارجية الفرنسى على وعد مكتوب بذلك (٣٨) ، وإن كانت فرنسا قد قالت أنها سوف لاتسكت إذا ما حاول السلطان العثمانى استرجاع سيادته المباشرة على تونس بعمل عسكرى .(٣٩)

وظلت بريطانيا لمدة نصف قرن تقريباً تقف فى وجه فرنسا وتطلعاتها الواسعة على الساحل الشمالى لأفريقيا ، وأخذ طابع الصراع بين الدولتين يأخذ طابع الصراع على الأمور الاقتصادية ، حتى أنه مع مرور الوقت بدأ البريطانيون يدركون أن احتلال فرنسا للجزائر كان سلاحاً قوياً موجها ضد السيادة التجارية البريطانية فى البحر المتوسط ، وظلت هذه الفكرة تسيطر على العلاقات بين الدولتين وعلى موقف كل منهما من شمال أفريقيا .(٤٠)

وكانت احدى المسائل التى لاتقبل الجدل عن المسألة الشرقية هى أن الدولة العثمانية كانت لا يمكن تقسيمها لارضاء كل الدول الكبرى . ولذا فان فرنسا رغم استيلائها على الجزائر . ورغم تطلعها إلى تونس ، فقد ظلت تعمل مع بريطانيا على الحفاظ على كيان هذه الدولة ، وعلى سيطرتها على المضايق ، فقد دخلتا بأسطولهما فى حرب القرم سنة ١٨٥٦م ضد الروسيا ، وأجبرتا الاسطول الروسى على العودة إلى مقره فى ميناء سباستبول ، ومعنى ذلك كما يقول تيلور ، أن بريطانيا كانت تريد أن تكون الدولة العثمانية دولة مستقلة حفاظاً على الأمن فى شرقى البحر المتوسط ، وأنها ودول غرب أوربا دخلت الحرب ضد الروس ليس من أجل الترك فى حد ذاتهم ، وانما حفاظاً على ميزان القوى فى البحر المتوسط وفى أوربا لصالح أوربا ، وأن مؤتمر باريس الذى عقد بسبب هذه الحرب فى باريس فى ٢٥ فبراير سنة

١٨٥٦ — ١٦ أبريل سنة ١٨٥٦م كان بمثابة مؤتمر نوقشت فيه مسائل أوربا أكثر منه صلحا لحل مشاكل الشرق الأدنى (الأوسط) (٤١).

حتى سنة ١٨٧٥م حين ثارت المسألة الشرقية من جديد بثورة السلاف ثم أهل البوسنة ضد الترك ، كانت بريطانيا لاتزال تحتاج إلى الدولة العثمانية ، والحفاظ على كيانها كحاجز حيادى للحفاظ على الأمن فى شرق البحر المتوسط وفى الشرق الأدنى بصفة عامة ، ثم احتاجت لها أكثر بعد افتتاح قناة السويس للملاحـــة سنة ١٨٦٦م ، ولذا فقـــد كانت حريصة على عدم فتح المسألة الشرقية (٤٢) ، ولكن عندما ثارت هذه المسألة — كما قلنا — كان أمر الدفاع عن الأمبراطورية العثمانية هو أمر هام بالنسبة لبريطانيا .

ولكن يجب أن نفهم أن الرأى العام البريطانى فى ذلك الوقت قد انقسم حيال هذه المسألة ، فقد كان هناك فريق يرى أن الأمبراطورية العثمانية قد اضمحلت تماماً ، وأن السياسة القديمة فى المحافظة عليها لم تعد ممكنة ، نظر هذا الفريق إلى كل اقتراح جديد بشك وريبة ، ومن هؤلاء لورد دربى ، لكن الفريق الآخر كان يتساءل ؟.... ولكن كيف نحمى الطريق إلى الهند ، من تهديدات الروسيا ، وكيف نحفظ الأمن والميزان فى البحر المتوسط ؟

وكان هذا الفريق وعلى رأسه دزرائيلى ، وكان رجلا (انجليزيا . انجليزيا حتى عموده الفقرى ، كل كلمة من كلماته كانت لها معنى لدى الجمهور الانجليزى . فالمصالح البريطانية فقط ، والرغبات البريطانية ، والمزايا بدت فى تصرفاته) (٤٣) ، ولذا كان فى خلال حياته حريصاً على حماية ومساندة استقلال الامبراطورية العثمانية كأفضل وسيلة للحفاظ على المصالح البريطانية فى الشرق وفى البحر المتوسط ، وكان أفضل الرجال الذين عملوا معه هو لورد سالسبرى الذى تولى وزارة الخارجية ، وصار الاثنان معا حجر الزاوية فى فى هذه السياسة التى اتبعتها بريطانيا منذ ذلك الوقت . (٤٤) .

وكانت الصحف تلعب دورها فى هذا الموضوع ، وخاصة صحيفة

التاميز التى تبنت الرأى الأول ، وكانت ترى عدم الثقة فى امكانية الاصلاح العثمانى ، وتكره ما تسميه (الاستبداد الاسلامى) (٤٥) .

وكان هناك فريق ثالث يدعو إلى حماية مصالح بريطانيا فى عالم واسع ، ولكنه لم يكن مع الدولة العثمانية ولا ضد روسيا (٤٦) .

وكان دزرائيلى رجلا يحب الشهرة ، ومغامراً مستعداً لارتكاب المخاطر فى سبيل تحقيق أهدافه بعكس دربى وكان مستغرقاً فى الاهتمام بأمور الدولة العثمانية ، وكان البريطانيون فى ذلك الوقت ينظرون إلى أهداف النمسا وروسيا بتوجس ، وكذلك إلى أهداف بسمارك ، وان كانت هناك ظلال من الشك حول هذه الأهداف ، فرغم أن بسمارك امتدح سياسة دزرائيلى فى حماية مصالح بريطانيا ، وشراء أسهم قناة السويس ، رغم أنه أنكر أنه توقع فى ذلك الوقت عملية تحطيم الامبراطورية العثمانية ، فان أثر تلميحاته عن السياسة التى كانت تنتهجها بريطانيا كانت واضحة (٤٧) .

وفى يناير ١٨٧٦م أسر بسمارك إلى رسل أنه لايجد أن الوقت قد حان لاقتسام أملاك الدولة العثمانية ، ولكنه يرى أطماع روسيا والنمسا ، وهو عموماً لايرغب فى مقاومتها . وهنا كانت تثور عدة تساؤلات :

أ) هل كان بسمارك يرغب فى أن يقيم لألمانيا نفوذاً مع بريطانيا فى البحر المتوسط ؟

ب) وهل كان بسمارك يرغب فى أن يحوز مقاطعات أخرى بعيداً عن الصراع الذى سيصاحب اقتسام أملاك الامبراطورية العثمانية ؟

حـ) أو هل هو يرغب فقط فى أن يستعين بالمقاومة البريطانية ضد روسيا وفرنسا ؟(٤٨)

هذه التساؤلات أثارت الحكومة البريطانية وأثارت شكوكها ، وفى نفس الوقت أثار شراء دزرائيلى لاسهم قناة السويس الشك فى نفس فرنسا ،

فقد قال ديكاز للورد ليونز أن هذا نذير بقيام الخلاف بين بريطانيا وروسيا ، وأن فرنسا قد تجد نفسها مضطرة لاتخاذ أحد موقفين اما مع بريطانيا ، أو عليها ، أما المانيا فكانت تعارضهما معا ، ومع هذا فان ليونز كان يرى أن فرنسا بالرغم من هذا الغضب الظاهر قد تتجنب القيام بعمل خطير .

وفى روسيا علقت الدوائر السياسية على أن عملية شراء الاسهم ، ليست عملية تجارية ، وانما هى مسألة تهم كل دول البحر المتوسط وبالأخص فرنسا ينبغى أن تكون هذه المسألة موضوعاً لتسوية دولية .

ولأن دزرائيلى كان لايريد أن يلقى بفرنسا فى أحضان روسيا ، فانه لم يرد اثارتها (٤٩) أما درنى ، فقد كان يريد التحالف والتعاون مع فرنسا فى منطقة البحر المتوسط فأخذ يوضح لفرنسا عندما كانت تثور اشاعة اعتزام بريطانيا ضم مصر أن هذا العمل لاأساس له . (٥٠)

وكانت كلما اثيرت اشاعة اقتسام ممتلكات السلطان . تثور اشاعة أن بريطانيا تريد جزيرة قبرص .

وحقيقة فقد كانت الصحف البريطانية تعد الرأى العام لموضوع اقتسام املاك السلطان والاستيلاء على مصر (٥١) .

ومهما قيل عن الافلاس والضعف العثمانى ، فقد ظن بعض رجال المال أن الامبراطورية العثمانية يمكن أن تقف على قدميها فى خلال خمس سنوات وذلك لو تولى الادارة فيها رجال اكفاء مخلصون ، أو بعض موظفى الهند المختارين ، وهذا هو مادعا رجل مثل سالسبرى إلى أن يتبنى سياسة العمل على الدعوة إلى اصلاح الدولة العثمانية وشئونها .

وعادت بريطانيا ، محافظة على مواصلاتها مع الهند ، وعلى ميزان القوى فى البحر المتوسط ، إلى سياستها فى الحفاظ على كيان الامبراطورية العثمانية وممتلكاتها (٥٢) ، ولذا فعندما وجدت أن روسيا بدأت تنتصر فى حربها معها سنة ١٨٧٥ ودخلت بأسطولها إلى مياه الدردنيل بعد أن تقدم الروس نحو

المضايق ونحو القسطنطينية ، وأصبح الخطر محدقاً ، وأرسلت لهذا الغرض الاميرال هورنبي Hornby ، وحذرت الروس من التقدم نحو العاصمة أو الساحل الأوربى أو الأسيوى للدردنيل . (٥٣) .

وبعد انتهاء الحرب فرضت روسيا على الدولة العثمانية اتفاق سان استفانو ولكن بريطانيا تدخلت فعقد مؤتمر برلين ١٣ يونية — ١٣ يولية سنة ١٨٧٨م (٥٤)

وهنا رأى سالسبرى أن روسيا أخذت كثيراً ، فخشى من تهديدها للبحر الأسود ، ولآسيا الصغرى بحصولها على باطوم ، فعمل على عقد اتفاق مع الدولة العثمانية ، يضمن فيه سيطرة بريطانيا ، وتحرك أسطولها فى منطقة المضايق حين يريد أن يحمى منطقة البحر الأسود حفاظاً على مواصلاتها فى البحر المتوسط ، وحصل بذلك على حق إدارة جزيرة قبرص فأصبحت بريطانيا من جبل طارق ومالطة وقبرص تحمى مصالحها فى البحر المتوسط والشرق (٥٥)

٢ — أهمية تونس فى الاستراتيجية البريطانية

يقع شمال أفريقيا (المغرب العربى) بين روما شرقاً ولندن غرباً ؛ بحيث تقع مدينة تونس غربى روما ؛ وتقع مدينة طنجة غربى لندن ، ولتونس أحد هذه الدول ساحل يطل على البحر المتوسط شرقى جبل طارق بنحو ٩٠٠ ميل وغربى قناة السويس بنحو ١٣٠٠ ميل ، ويفصل سواحل تونس عن صقلية ٨٥ ميلا فقط ، وتونس العاصمة وصقلية يقتسمان البحر المتوسط تقريباً ، وتونس بموقعها بساحل شمالى وساحل شرقى كانت ملتقى حضارات البحر المتوسط ، أتت منها أقوى التيارات السياسية والعسكرية ، فقد كانت مركزاً قوياً حين خرجت منها غزوات العصر القرطاجى أيام هانيبال ، ثم أصبحت بعد ذلك مركز امتداد النفوذ الرومانى فى افريقيا ؛ وكذلك فى العصور الوسطى صارت هى والجزائر مركزاً لامتداد المسيحية فيها . ثم أصبحت

بعد ذلك مركزاً لامتداد الاسلام والثقافة العربية فى شمال وغرب أفريقيا وجنوب غرب أوربا ، وصارت احدى مراكز الثقافة العربية الاسلامية ، وأصبحت تتوسط العالم الاسلامى ، ومنها خرجت غزوات لفتح صقلية وكريت ، ولنشر الاسلام فى الجزر حول شبه جزيرة ايطاليا ، ثم عندما ضعفت القوى الاسلامية فى العصر الحديث تعرضت تونس لغزوات النورمان من صقلية فى القرن ١٢م والاسبانى فى القرن ١٦ ولموجة الحضارة الغربية الحديثة فى القرن ١٩ ، ولما صارت ولاية خاضعة للدولة العثمانية فى القرن ١٦ ظلت ولاية عثمانية حتى غزتها فرنسا سنة ١٨٨١م (٥٦) .

وفى القرن ١٩ كانت تونس فى نظر بريطانيا تلعب دوراً هاماً فى استراتيجيتها فى البحر المتوسط ، فقد كانت دولة حاجزة Buffer State تلعب دوراً هاماً فى حماية مستعمراتها عبر البحار ، وكانت الدولة التى تستولى على تونس ، وتستطيع أن تقيم فى بنزرت ميناءا حربيا قوياً كانت تعتبر خطراً كبيراً على بريطانيا . ولذا فقد كان الحفاظ على استقلال تونس أمراً هاماً ، إذ لو حدث واحتلت دولة مثل فرنسا أو ايطاليا — وهما الدولتان اللتان كانتا تطمعان فى تونس — لازداد نفوذ فرنسا وايطاليا فى البحر المتوسط ولا نقلب ميزان القوى فيه ، بل وفى أوربا نفسها ، ولأدى أيضاً إلى تمزيق أوصال الدولة العثمانية ، التى حرصت بريطانيا على بقائها وتدعيم وجودها . (٥٧) .

وكان حكام الهند ينظرون إلى فرنسا على أنها العدو اللدود لهم ، ولو أنها احتلت تونس لأحالت بنزرت إلى طولون أخرى ، ولقطعت أحد طرق المواصلات الهامة إلى الهند ، ولذا فقد احتلت تونس فى نظرهم مركزاً هاماً فى الامبراطورية العثمانية (٥٨) .

وقد اختلف المؤرخون حول عوامل التدخل والاهتمام لدى القوى الكبرى بجهات تونس وشمال أفريقيا ، فعلى حين يرى ولف (٥٩) أن ذلك كان يرجع إلى رغبات ومصالح فئة من رجال المال فى فرنسا وايطاليا

وبريطانيا ، نرى أن غيره من أصحاب الدراسات الحديثة ومنهم ستالى (٦٠) يرجع ذلك الاهتمام إلى عوامل سياسية ويستشهد فى ذلك بأن الصراع بين هذه القوى الثلاث حول تونس ، وان كانت عوامله الظاهرة مشاكل اقتصادية فانه كانت وراءها دوافع سياسية ، كما أن القناصل البريطانيون فى تونس وخاصة رتشاد وود عام (٥٦ — ١٨٧٩م) كان يرى أن وراء النمو الاقتصادى البريطانى فى تونس أهمية سياسية ، وأن فى الوقوف البريطانى فى وجه التنافس الفرنسى الايطالى واطماعهما فى تونس ، يمكن حفظ البلاد وتقويتها ، ومن أجل تقويتها يجب العناية بمصالحها الاقتصادية .

وفرنسا منذ أن استولت على الجزائر ، وهى تريد السيطرة على تونس فوقفت لها بريطانيا تحذرها من هذا العمل فى صرامة لأن معنى استيلائها على تونس بعد الجزائر هو السير خطوة كبيرة فى تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية ، وكان هذا يؤدى بالطبع إلى تهديد المواصلات البريطانية مع الشرق . وكان رجال البحرية البريطانية يرون فى ذلك الوقت أن فرنسا بامتلاكها ميناء كبيرا فى طولون ، ثم بسيطرتها على الميناء التونسى بنزرت وكذلك ميناء فارنا لا يمكنهم من فرض السيطرة البحرية البريطانية دوماً ، وهو أمر كانت السياسة البريطانية عليه جد حريصة ، وصار من ثم أمر الحفاظ على الحالة الراهنة فى تونس والحالة الراهنة فى البحر المتوسط هو أساس السياسة البريطانية حتى منتصف السبعينات تقريباً .

وقد أثر هذا الموقف على السياسة البريطانية بشكل قوى ، برهنت عليه الأحداث بشكل واضح ، فبريطانيا كانت تنظر إلى تونس ، —بعكس فرنسا — على أنها جزء من الامبراطورية العثمانية ، وكان أمر الحفاظ على الامبراطورية العثمانية وتكامله موضوعاً شغل الساسة البريطانيين حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً ، وقد رأينا أن بريطانيا وقفت فى وجه محمد على عندما هدد الدولة العثمانية ، لأن هذا صحبة بالتالى تهديد روسيا لمصالح بريطانيا ورغبتها فى السيطرة على المضايق وعلى القسطنطينية . (٦١)

ومرة أخرى فى سنة ١٨٧٦ عندما أوشكت الدولة العثمانية على الانهيار

أمام الروس ، ذهبت بريطانيا إلى حد التفكير فى الدخول فى حرب ضدهم إذا لم يتراجعوا عن القسطنطينية مثلما فعلت سنة ١٨٥٦م فى حرب القرم وعندما تم الصلح وعقد صلح سان استفانو ، صمم البريطانيون على ضرورة مراجعة موضوع الصلح لأنه كان يعطى روسيا مواقع ، رأت بريطانيا أنها تهدد مصالحها ومواصلاتها فى الشرق ، وعقد لهذا الغرض مؤتمر برلين ، وحصلت فيه بريطانيا من الدولة العثمانية على حق ادارة جزيرة قبرص (٦٢) .

وأصبح سالسبرى يرى أنه من الضرورى اعاقة أى اتفاق يردى بالدولة العثمانية إلى التبعية وذلك بتقديم المساعدات الضرورية حتى لايؤدى ذلك إلى تهديد المضايق ، أو يضر بالمصالح البريطانية فى الأماكن التى تظللها السيادة العثمانية . وأنه وإى كان من الصعب أن تقف هذه الدولة على قدميها كقوة يعتمد عليها فلذا رأى :

١ — دفع السلاف إلى البلقان ، ووضع الامارة الاغريقية تحت سيادة السلطان .

٢ — ضمان حرية المرور فى المضايق .

٣ — أن تحصل بريطانيا بجانب قبرص على ليمنوس مع احتلال مكان آخر مثل الاسكندرونة كضمان للحماية . (٦٣) .

وكان يقول أن الدولة العثمانية تمتد إلى مناطق جغرافية هى مناط اهتمام بريطانيا فى الظروف الراهنة ، وكان يقول (أن السيادة الشرعية لتلك الحكومة تمتد إلى مناطق جغرافية يجب — تحت كل الظروف — أن تكون مثار الاهتمام العميق لبريطانيا العظمى ، فسيادتها معترف بها فى الخليج الفارسى ، وعلى شواطىء الشرق وفى المناطق المحيطة لقناة السويس) ، ولذا فيجب دفعها إلى اصلاح أحوالها تحت حكم آل عثمان ، وإزالة كل أسباب الشكوى حتى تحافظ على امبراطوريتها حتى يحين الوقت الذى تصبح فيه قادرة على السير ، ولايتم هذا إلا بالمساواة بين الرعايا من كل الأجناس والأديان ليصبحوا وطنيين مخلصين للدولة ومستعدين للدفاع عنها ، ورعايا مخلصين للسلطان(٦٤).

ثم أننا نراه فى هذه الرسالة لايذكر المناطق الأفريقية مثل تونس وطرابلس ومصر على انها أجزاء من الامبراطورية العثمانية ، ويتكلم عن الأجزاء الأسيوية والأوربية مع أن هذه كانت تخضع للسلطان وخاصة طرابلس التى استعاد فيها نفوذه المباشر بحملة سنة ١٨٣٥م وتونس التى كانت بريطانيا ترى أنها جزء من هذه الإمبراطورية (٦٥) .

وكان دزرائلى بعد عودته من برلين قد أطلع الملكة على فكرته فى اقامة تحالف وعصبة الأمم فى البحر المتوسط ، وأخذت هذه الفكرة طور النمو عندما قامت المحادثات بين سير أغسطس باجت سفير بريطانيا فى روما ودبريتيس Depretis رئيس الوزراه الايطالية ، وكانت فكرة دزائيلى هى العمل على تكوين تحالف من دول البحر المتوسط بدءا بايطاليا واليونان ، ثم بعد ذلك العمل على ضم النمسا وفرنسا ، ويمكن اعطاء ايطاليا ألبانيا ، وفرنسا تونس (٦٦) . ولكن لورد ليونز كان يعارض هذه الفكرة على أساس خبرته بالفرنسيين ، ويرى أن ماهو مهم للمصالح السياسية البريطانية فى البحر المتوسط تضره مشاركة كل أو أغلب القوى (٦٧) ، وشاركه فى الرأى لورد تنردن ولورد درنى ،ولما عرض الأمر على الكونت كورتى وزير خارجية ايطاليا رفض خوفاً من أن يجر ذلك ايطاليا إلى حرب ، وجريا وراء سياسة ايطالية فى الحياد فى أوربا(٦٨)ولذا فقد حرص لورد دزرائيلى (بيكونز فيلد) على البحث عن جبل طارق جديد فى الشرق الأدنى .

وبعد حصول بريطانيا على قبرص سنة ١٨٧٨م بدأت تغير نظرتها إلى تونس ، فلم تعد تنظر اليها بنفس المنظار الذى نظرت به إليها فى العقود السبعة من القرن ١٩ ، لأنها رأت أن جبل طارق ومالطة وقبرص ، وأسطول قوى فى البحر المتوسط كاف للحفاظ على مصالحها ومواصلاتها ، وهى كذلك فكرت فى ذلك الوقت فى مصر وقناة السويس فلم تعد تخشى من وجود فرنسا فى تونس ، ولكنها لم تكن ترضى بوجود ايطاليا فيها (٦٩) ، ذلك أن بريطانيا وجدت غضباً فرنسيا لحصول بريطانيا على قبرص ،

فأرادت أن تعوضها بعرض تونس عليها ، ثم لأنها كانت تود أن تتعاون معها فرنسا فى مصر ، ولأنها أيضاً وجدت أن تونس بموقعها الجغرافى أقل خطورة على مصالح بريطانيا آنذاك من التضحية بمراكش أو بمصر ، ولأنها كذلك كانت تنشد الصداقة الفرنسية نظراً للموقف الدولى . إذ فى بداية العقد التاسع من القرن ١٩ كانت قد بدأت تظهر قوى بحرية ذات شأن منها فرنسا ثم ألمانيا ثم ايطاليا والنمسا وروسيا ، وكل من هذه الدول انشأت أسطولا حديثاً (٧٠) ، فأصبحت الولايات الاسلامية الضعيفة ليست بذات شأن كبير فى الاستراتيجية الدفاعية البريطانية ، بل لقد وجدت من ينادى فى ذلك الوقت بالتخلى عن سياسة الدفاع عن الامبراطورية العثمانية لأن هؤلاء رأوا أن بريطانيا لن تستطيع حماية بقائها ، فقد كانت حكومة الأحرار برئاسة جلادستون فى أواخر العقد الثامن ترى نفسها مضطرة للتسليم بتونس لفرنسا بسبب الوعد الذى أعطاه سالسبرى لواد نجتون فى برلين سنة ١٨٧٨م ولأن رجال البحرية البريطانية غيروا من نظرتهم إلى تونس وبنزرت ، فقد رأى لورد نورثبروك Northbrookأن بنزرت ووقوعها فى يدفرنسا لايعرض مالطة للخطر ، ولايفقدها قيمتها كما يقول البعض (١٧١) ولذا فقد آثر جلادستون ألا يخاطر بالعلاقات البريطانية الفرنسية الطيبة .

وفى ذلك الوقت كان الأحرار قد نظروا إلى أن التضامن الأوربى يمكن أن يحيد ويسوى الأهداف ويقضى على الأنانية ، ووجدوا أن حماية الطريق إلى الهند هو فى الحفاظ على الحالة الراهنة فى البحر المتوسط ، وليس الضرورة اتباع السبيل الذى اتخذته حكومة دزرائيلى فى الحفاظ على الامبراطورية العثمانية فى آسيا ، بل فكروا فى اعادة قبرص إلى تركيا (٧٢) ، وكذلك كان الاعتماد على القوة البحرية ، ولذا نظرت هذه الحكومة إلى أن اقتسام مناطق النفوذ سيكون حينذاك سهلا ، فقد كانت بريطانيا تروم مصر ، وترى أن فرنسا تعارض فى الوقت الذى كانت فيه النمسا تريد البوسنة وايطاليا تريد ألبانيا ، وفرنسا تريد تونس ، وهكذا بالتفاهم يمكن حل المشاكل عن طريق

تعويض كل دولة بما تريد عنامًا يحين الوقت لمناقشة أمر مصر (٧٢)ومع كل فقد كان ليونز يرى أن هذا التحالف وهذا التفاهم غير ممكن .

ولما ذهبت فرنسا إلى تونس سنة ١٨٨١م ، وبدأت إيطاليا تخشى من وجود فرنسا فى تونس بعد ضياعها منها ، وتخشى منها كذلك على طرابلس التى بدأت تفكر فيها بعد ضياع تونس ، دخلت معها بريطانيا والنمسا فى حلف البحر المتوسط من أجل الحفاظ على الحالةالراهنة فيهStatus Quoوفى البحر الأسود كذلك ، فقد أصبح التحدى الحقيقى لبريطانيا فى الثمانينات هو حرب فى البحر المتوسط ، وكانت القوة الفرنسية فيه كبيرة ، ودخول بريطانيافى حرب مع فرنسا ، ناهيك عن تحالف روسيا معها فى أواخر العقد التاسع ، كان يعنى سحب عدد لا يقل عن تسع أو عشر سفن من بحر الشمال ، مما يترك القنال الانجليزى بلا قوة دفاعية كافية (٧٤) ، ولذا فعندما فرضت فرنسا حمايتها على تونس ، وبدأت تجهز بنزرت كميناء حربى ، وأخذت ايطاليا تلح على بريطانيا أن تتخذ موقفاً حاسماً ، وأن تنظر إلى الموضوع نظرة اهتمام أكثر ، وجدنا سالسبرى يسوف ، ويعد دون أن يتخذ موقفاً وتصرفاً حاسماً يرضى حليفتها ، بل لقد نظر إلى الحلف الثلاث كعبء ، وأنه ما دخل فيه إلا لأنه أراده لموضوعات ومواقف كان يراها أكثر أهمية من تونس وتصرفات فرنسا فيها وموقف ايطاليا منها ، ثم أنه نظر إلى الألمان والنمساويين كحلفاء أكثر نفعا فى تعامله مع الدولة العثمانية ، ومع روسيا وفى تصرفاته فى مصر وفى تعامله مع الفرنسيين .

ومنذ ذلك الوقت بدأ البريطانيون يعملون ليكون الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط كفؤا لقوتين ، وكان الصراع حول مدغشقر وحول زنزبار وحول وادى النيل كافياً لكى ترى فرنسا أنها أحق بأن تتنازل لها بريطانيا عن تصرفاتها فى تونس ، وأن تعترف بوضعيتها فى مدغشقر فى مقابل اعترافها هى بالحماية البريطانية فى زنزبار ووادى النيل ، أى أن تونس فى ذلك الوقت كانت ورقة تلعب بها بريطانيا وتساوم بها فرنسا فى

مقابل أوضاع ومصالح بريطانيه رأتها أكثر أهمية ، وبالمثل ورقة فى يد فرنسا تساوم بها بريطانيا لتعترف بوضعيتها فى يد فرنسا فى مقابل اعترافها هى بهذه المصالح البريطانية .

والغريب أن هيئة الاستطلاعات الحربية البريطانية قدمت مذكرة فى سنة ١٨٨٨م تقول أن بنزرت (أفضل بقعة استراتيجية فى البحر المتوسط) ثم عادت لتقول بعد سنتين تقريبا فى يناير سنة ١٨٩١م أن بنزرت هى عبء على البحرية الفرنسية ، وأن انشاء قاعدة بحرية فيها لا يهدد ولا يغير ميزان القوى فى البحر المتوسط ، وأن إنشاء هذه القاعدة سيضيع وقت الفرنسيين ، وسيضيع مالهم وجهدهم ، ولعل هذا هو مادعا سالسبرى ينصرف عن مساندة حلفائه الايطاليين عندما احتجوا على الفرنسيين وثاروا ضد تصرفاتهم فى تونس وطرابلس . (٧٥) .

ثم سرعان ما جاءت التقارير تقول أن الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط فى حاجة إلى تدعيم ، فقد أصبح لا يفى بالحاجة الدفاعية بعد أن حالفت الروسيا مع فرنسا ، وبعد أن خرج الأسطول الروسى الحديث من البحر الأسود إلى البحر المتوسط (٧٦) وقيل أن فرنسا تزمع منح الروسيا قاعدة فى بنزرت ، فأصبحت القوة البحرية البريطانية لا تستطيع الدفاع عن القسطنطينية والسلطان قد حصن الدردنيل ولم يحصن البسفور ، ولذا فقد تمكن الاسطول الروسى من الخروج إلى البحر المتوسط وتهددت قوة بريطانيا فيه (٧٧) .

ووجد روزبرى أنه لابد من معاونة الحلف الثلاثى وخاصة بعد الموقف غير المتعاون من ألمانيا ، وذلك فى حالة تحالف روسيا مع فرنسا ، وكان الحل هو ضرورة تدعيم هذه القوة البحرية (٧٨) . فقد رأى البريطانيون أن فى هذا التقارب الفرنسى الروسى عملا متوقعاً ضد بريطانيا فى البحر المتوسط ، فشعروا بضرورة تدعيم قواتهم البحرية (٧٩) ، فقد كان هذا الأسطول تعوزه المدافع الكبيرة ، والسفن الجيدة ، وكان رجاله فى حاجة إلى مزيد من التدعيم والتدريب (٨٠) ، وكذلك كان الجيش نفسه فى حاجة إلى تدعيم

وتقوية وإلى رجال جدد(٨١) ، وقد نوقشت مسألة الجيش والأسطول ، وتدعيمهما فى البرلمان البريطانى ، ولكن مجلس الوزراء انقسم على نفسه حول هذا الموضوع فعلى حين أيد لورد روزبرى ذلك ووقف معه وزير البحرية إرل سبنسر لم يقتنع بذلك جلادستون ووليم هاركورت وزير الخزانة وأعلن جلادستون أن الأسطول البريطانى كفء للقيام بما يناط به فى البحر المتوسط ، ولضمان السيادة البريطانية (٨٢) ثم عندما اخذت الشائعات تردد أن فرنسا ستعطى روسيا قاعدة بحرية فى بنزرت ، وأن الأسطول الروسى فى البحر الأسود سيمر إلى البحر المتوسط ، وأن الروس سيركزون أنفسهم فى إحدى الجزر قرب Mount Athos(٨٣) بدأوا يشعرون بضرورة تدعيم هذه القوات البحرية (٨٤) . وأدى ذلك إلى تخلف بريطانيا عن نصرة ايطاليا ، كما تود فى صراعها مع فرنسا فى مسألة الحدود التونسية الطرابلسية بعد أن رأت فرنسا أنه من الضرورى لها ضم المنطقة حول غدامس وغات للسيطرة على طريق القوافل مع تشاد (٨٥) ، وكل هذا لم يذهب ببريطانيا إلى حد التخلى عن حقوق رعاياها وحقوقها التى كفلتها لها معاهدة يوليو سنة ١٨٧٥ م مع تونس (٨٦) .

ثم تغيرت السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ، فعندما جاء سالسبرى إلى الحكم مرة ثانية ، وجد أن الروسيا تستطيع الاستيلاء على القسطنطينية ، وأنه من الضرورى تغيير سياسته نحو العثمانيين ، فبدأ يتخلى عن مبدأ توجيه السياسة البريطانية نحو تدعيم الامبراطورية العثمانية والحفاظ عليها إلى ضرورة الاحتفاظ بمصر والسيطرة على وادى النيل بل ومحاولة التفاهم مع الروس .

ثم برهنت الأحداث على أن فرنسا فى عنفوان قوتها لم تستطع نقل ١٥ ألف جندى إلى مدغشقر (٨٧) ، وهنا فكر البريطانيون فى الوصول إلى تفاهم مع فرنسا حول تونس وغيرها مثل سيام والنيجر .

ولم يكن سالسبرى أيضاً يريد للتحالف الثلاثى أن ينفرط عقده ، مع

أنه لم يكن يستطيع أن يقدم للنمسا ماتريد من حماية المضايق ، ولم يكن مستعداً لتقديم ماتطلبه ايطاليا فى تونس وضد سياسة فرنسا فيها وفى الحدود الطرابلسية حتى أصبح أمر خروج ايطاليا من حلف البحر المتوسط أمراً محتملا فى سنة ١٨٩٦م ، ولكن بعد معركة عدوة وهزيمة ايطاليا أمام الأحباش صار احتمال التفاهم الانجلوا ايطالى كبيرا ، فقد كان كذلك تدعيم الموقف البريطانى فى حملة دنقلة أمراً مطلوباً ، وقد كسبت بريطانيا بهذه الحملة مركزاً استراتيجياً واضحاً . (٨٨) .

ومع هذا فان تقارير وزارة الحربية ، والادميرالية جاءت لتقول أن بريطانيا فى مركز لا تستطيع فيه مواجهة كل الاحتمالات ، فهناك حليف أفقدته الهزيمة فى عدوة روحه ، وهناك ألمانيا التى أخذت تبعد عن بريطانيا وهناك النمسا التى أخذت علاقتها مع بريطانيا تفتر ، وهناك الخلافات مع الولايات المتحدة ، وهناك ثورة فى جنوب أفريقيا ، وحملة فرنسية معادية على النيل قادمة من الكونغو ، وهناك تحالف فرنسى روسى ، وفى حالة الحرب كان أمر تدعيم جبل طارق ومالطة أمراً لا يمكن الاعتماد عليه بشكل جدى ، ولذا فقد أصبح أمر التمسك بمصر والحفاظ على الحالة الراهنة فى مراكش أمر ضرورى ، وصار أمر الحفاظ على الحلف الثلاثى فى البحر المتوسط ، أمراً لامناص منه ، وأصبح أمر تجنب الحرب مع فرنسا وحليفتها الروسيا أمراً ضرورياً أيضاً . (٨٩) .

ومع ذلك فان سالسبرى وبثقة ، وكان يرى أنه يمكنه التعامل مع فرنسا وروسيا فى البحر المتوسط (٩٠) ، وهومع ذلك كان لايريدالاصطدام بالروسيا ولا بحلفائها ، ولذلك فقد قدم تنازلات واضحة وتصرف تصرفات ودية مع فرنسا فى مفاوضاته معها ، وذلك على أسس سياسية عامة (٩١) ، وأصبح فى سنة ١٨٩٧م قلقاً يريد تسوية كل الخلافات حول هذا الموضوع وظهر أثر ذلك عندما أخذت المفاوضات البريطانية الفرنسية حول تونس

تتخذ موقفاً وخطا صلباً ، فالأسس العامة للسياسة البريطانية لم تخضع تماماً لما ارتأته وزارة الحربية والبحرية ، وقد تشدد وزير المستعمرات تشمبرلين (٩٢) ووزير الخزانة كيرزون وجعلوا سالسبرى (٩٣) نفسه كرئيس للوزراء ووزير للخارجية يتخذ هذا الموقف المتشدد (٩٤) ، وكان الحظ فى ذلك الوقت فى جانب بريطانيا لأن روسيا اتجهت بأنظارها بعيداً عن المضايق إلى الشرق الأقصى .

وكانت البحرية البريطانية تحبذ تركيز قوات بحرية فى مالطة لأسطول البحر المتوسط تدعمها قوات من بحر الشمال متمركزة فى جبل طارق (٩٥) ؛ ولكن رئيس هيئة الاستطلاعات الحربية كان يخشى من توغل برى فرنسى من تونس إلى مصر ، مع أن الأحداث وضيق الأهالى فى تونس بفرنسا وحكمها برهنت على أن هذا كان غير ممكن ، ولم تبرهن بنزرت على أنها كما قال هانوتو (تمسك البحر المتوسط من خناقة) ، وأن كان الايطاليون حلفاء لندن قد ظلوا يخشون التوغل الفرنسى من تونس إلى طرابلس ، فان سالسبرى لم يعر ذلك الخوف الاهتمام الكافى .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، كانت بريطانيا قد دعمت قواتها فى البحر المتوسط وطرحت فكرة الحفاظ على كيان الامبراطورية العثمانية . ولم تكن تهتم جيداً بتدعيم ايطاليا أثر تخوفها من سياسة فرنسا فى تونس وطرابلس ، وحافظت على الحالة الراهنة فى مراكش ، وبدت مستعدة لركوب كل المخاطر من أجل تدعيم مركزها فى حوض النيل (٩٦) ، فقد كان اهتمام الروس بمد خطوط السكة الحديد عبر سيبريا ، واهتمامهم بالشرق الأقصى عاملا جعل بريطانيا تهتم بطريق قناة السويس حتى تحمى الهند (٩٧) .

وظلت البحرية البريطانية ترى أن ماتم بالنسبة لتدعيم الأسطول غير كاف وحبذت عملية تركيز القوة البحرية البريطانية بأقصى درجات الاستعداد والقوة فى المياه الاقليمية ؛ وفى البحر المتوسط ، ومن أجل هذا حدث تحالف مع الأمريكيين ، ومع اليابانيين لدعم دفاعات بريطانيا فى الشرق

الأقصى ، ولمنع اليابان من التحالف مع الروس .

ظل التحالف الايطالى مع بريطانيا دعما لقوة بريطانيا فى البحر المتوسط فى منطقة جيدية بالنسبة لمصالحها ، وفى نفس الوقت تبين أن استعدادات الألمان إنما هى للعمل فى بحر الشمال وضد بريطانيا ، وأدى هذا الموقف بكل محاذيره إلى التقارب الأنجلو فرنسى ، ثم انتهى إلى أن يعقد لاندزدون Landsdowns الاتفاق الودى مع فرنسا عام ١٩٠٤م ، وفيه تركت بريطانيا لفرنسا الحرية فى شمال أفريقيا بما فيه مراكش ، فى مقابل أن تترك فرنسا الحرية لبريطانيا فى مصر . (٩٨) .

هوامش الدراسة

1) E.A. Benians; The Cambridge history of the British Empire. Vol. ii. The growth of the new Empire. 1983. Cambridge 1940. P. 567.

2) The Cambridge Modern History. Vol. IX. Cambridge. 1907 P. 751.

3) The Cambrdige history of the British Empire. Vol. ii. P. 568.

4) Ibid. P. 568.

5) A.W. Wood 1nd G.P. Gooch;Cambridge history of British foreign policy. 1783—1919. Cambridge. 1923. Vol. ii. PP. 7—35.

6) Frank E. Bailey; The Economics of British Foreign policy. 1825—1850. (J.M.H. Vol. xii. No. 4. 1940. PP. 449—451).

7) Halford Lancaster Hoskins; British Routes to India (Longmans. Green& Co.) Lond. 1928 PP. 108—112 and P. 231.

8) The Cambridge history of the British Empire. Vol. ii. PP.570—571.

9) Ibid. P. P. 570—571.

10) The Cambridge history of British foreign policy. Vol. ii. P. 182.

11) Hoskins; Op. Cit. P. 268.

12) The Cambridge history of British foreign policy. Vol. ii. P. 263.

13) David Urkhart;Turkey and its resources, its municipia organization and free trade ... Lond. 1833 & David Ross; Opinions of the European Press, on the Eastern Question. Lond. 1836.

14) F.O. 78/220. Palmerston to Ponsonby. 6*th* Dec. 1833. & Hansard's Parliamentry Debates. 3*rd.* Series Vol. 22, 1833. PP. 307—349.

15) Bailey; Op. Cit. PP. 451—455.

16) Francois Charles Rous;Autour d'une Route; L'Angleterre, l'Isthme de Suez et l'Egypt au x viii *e* siécle. (Plon-Nourrit et C*ie*) Paris. 1922. PP. 201—219.

17) Hansard 3*rd* Series. Vol. 24. P. 142.

18) Charles-Rous; Op. Cit. PP. 207—219.

19) Hansard. 3*rd* Series. Vol. 147. PP. 652-662. & 676—683.

20) D.C.M. Platt; Finance, Trade, and Politics in British Foreign Policy.1815—1914. (Clarendon Press). Oxford. 1968. P. 249.

21) Baily; Op. Cit.; PP. 455—478.

22) F.O. 78/220. Palmerston to Ponsonby . No. 22. 6*th* Dec. 1833.

23) F.O. 78/240. From Ponsonby No. 187. 25*th* Nov. 1834.

24) Baily; Op. Cit. PP. 482—483.

25) F.O. 78/330 Ponsonby to Mezani. 17*th*AprIL. 1838.

26) Philip Mosely; Russian diplomacy and the opening of the Eastern Question in 1838 and 1939 (Russel and Russel) New York. 1969. P. 99.

وكان محمد على ذكيا ، فقد وافق فى ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٨ على تنفيذ هذه السياسة وعدل عن بعض نظمه التجارية وأعلن أن هذا ليس من باب الخضوع للسلطان وظل سيد الصناعة والتجارة فى مصر . فخاب ظن بريطانيا (موصلى ٠ ص ١٠١) .

27) P.R.O. 30/29/18 A. Granville to Russel 12*th* Jan. 1852.(Granville private papers in the Public Record Office).

28) Ibid. 30/29/11 A.Russel Memorandum.19*th* June 1853 & Palmerston Memorandum 20*th* June 1893.

29) Kenneth Bourne; The foreign policy of Victovian England. 1830—1902. (Clarendon Press). Oxford 1970. PP. 313—316.

30) Ronald Robinson & John Ga lagher & Alice Denny; Africa and the Victorians. (Macmillan and Co. LTD.) Lond. 1961. PP. 76—77.

31) Lady Francis Balfour; The Life of George Fourth Earle of Lord Aberdeen. In Two Vols. (Hodder and Stroughton LTD) Lond. P. 252.

32) Ibid. PP. 249—250.

33) Francis Rosebro Flourney; British Policy towards Morrocco. In The age of Palmerston. 1830—1865. Lond. 1935. PP. 54—55. (P. Sking & Son. LTD).

34) Robinson (Roland) & John Gallagher and Alic Denny; and Africa and the Victorians. (Macmillan and Co. Press) Lond. 1961. PP. 76—77.

35) F.O. 27/578. Palmerston to Granville No. 413. Dec. 10, 1839,

36) Rosebro; Op. Cit. PP. Rosebro; Op. Cit.PP.57—58.

37) F.O. 27/578. Palmerston to Granville No. 413. Dec. 10, 1839.

38) Rosebro; op. Cit. PP. 59—60.

39) F.O. 27/626. Bulwer to Palmerston. Confidintial and Secret. July 30, 1841.

40) Leonard Sideny Woorf; Empire and Commerce in Africa. London. 1919.P. 81—82.

41) A.J.P. Taylor; the Struggle for mastery in Europe.The Oxford history of Modern Europe. PP. 59—66. and 228—285. Oxford 1957—2*nd* Edit.

42) Ibid. P. 228.

43) Dwight E. Lee; Great Britain and the Cyprus Convention policy of 1878. (Cambridge. Harvard Univrsity Press. 1934). P. 5. Margin.

44) Ibid. PP. 4—12.

45) The Times. Nov. 26 & Dec. 7, 1875.

46) Dwight C. Lee; Op. Cit. P.8.

47) Lord Newton; Lord Lyon s. Arecord of British diplomacy. 2 Vols. (Edward Arnold) Lond. 1913. Vol. ii. PP. 87 — 90.

48) Ibid, PP, 96—97 & William Langer;The diplomacy of Imperialism 1890 — 1902. London 1935. Vol. 1. PP. 75—81.

49) Hansard. 3*rd* Series Vol. 228. PP. 500—501.

50) Newton; Op. Cit. PP. 104—105.

51) Lee; Op. Cit. P. 27.

52) Ibid; P. 11.

53) Arthur Marder; British Naval Policy in 1878 (J.M.H.) Vol. 12. No. PP. 367 — 369.

54) Dwight E. Lee; A memorandum Concerning Cyprus. 1878. (J.M. H. Vol. iii. No. 2 June 1931) PP. 235 — 241.

55) Carl Brown; The Tunisia of Ahmed Bey 1837 — 1855. (Princeton University Press. 1974) PP. 19 — 21.

56) Jean Ganiage; Les Origines du Protectorat Francias en Tunise. 1861 — 1881. (Presses Universitaires de France). Paris 1959. P. 37.

57) Robin Hallet; Africa to 1875 — (Hein mann) London 1880. P. 391.

58) Woolf; Op. Cit. P. 104.

59) Eugene Staley; War and the Private investor. A. Study in the relations of international politics and international investment. (A University of Chicago Book. Dundleday Poran Inc. New York ? PP. 327 — 352.

60) Edmond Fitzmaurice; The life of Granville George Leveson Gower, Second Earle Granville. 2*nd* Edition. 2 Vol.z Lond. 1905. Vol. 2.P. 234.

61) Jean Darcey; Cent année de rivalité coloniale. L'Afrique; Paris 1904. PP. 197— 205.

62) Salisbury to Disraeili. Private March 21, 1878. Lady Gwendolen Cecil; Life of Robert Marquis of Salisbury. 4 Vols. (Hadder and Stroughton LTD). Lind. 1921. Vol. ii. PP. 213 — 214.

63) Parliamentry Papers. From Salibury. 1*st* April. 1878. PP.765— 772. Vol. 81.

64) Salibsury to Henry Layard. May 9, 1878 (Temperley and Penson; Foundations of British foreign policy from Pitt (1792) to Salisbury (1902) or Decuments old and new. Lond. 1938. PP. 384 — 385.

65) Lee; Great Britain and the Cyprus Convention policy. PP, 40—42.

66) Ibid; P. 42.

67) Stephen Gyynn M.P. and Gertrude M. Tuk well; The life of the Rt. Hon. Sir Charles Dilke. 2 Vols. (John Murray....) Lond. 1918. P. 249.

68) F.O. 363/1. To Tenterden July 2, 1878.

69) Arthur J. Marder; The anatomy of British sea power. A histor of British naval policy in the pre-Dead-nought Eara. 1880—1905. (Octagon Books) New York 1976 — P. 120.

70) W.N. Melicott; Bismark, Gladstone and the Concrt pf Europe. (University of London. The Antelope Press) Lond. 1956. P. 910.

71) Callagher; Op. Cit. P. 93.

72) Medlicott; Op. Cit. P. 310.

73) Marder; The anatomy pf Pea-power. PP. 129 — 131. & P.146.

74) Ibid; Chapter 9 P. 145 and Squ.

75) Ibid; PP. 146 — 153

76) P.R.O. 30/40/14. John Ardagh memorandum No. 5. Secret. Oct. 1896.

77) Arthur Marsden; British diplomacy and Tunis, 1875 — 1902. A case study in Mediterranean Policy (Scotch Academic Press). London. 1971. PP. 216 — 217.

78) Salisbury to Ponsonby May 4,1888 : George Earle Buckle; The letters of Q-Victoria. 3*rd* Serie. Vol. 1. 1886—1890. (John Murray) Lod. 1930. PP. 409 — 410.

79) Ibid. Salisbury to the Queen. F.O. May 8,1888 P. 410.

80) Ibid. Ponsonby to the Queen. May, 10 & 13. 1888. PP. 410—11.

81) Hansard *4th* Series Vol. 18. PP, 349. & 1151.

82) William L. Langer; Franco Russian Alliance (Octagon Books) New York 1977. PP. 360 — 362.

83) Queen Victoria to Salisbury. Very Confidential. June 8, 1888 PP. 413 — 414. & Salisbury to the Queen June 12 1888 F.O.PP. 414—415. (Lettrs ofQ-Victoria Vol. 1).

84) Arthur Marsden; Britain and the Tunis Rase 1894—1899.(E.H.R.) Vol. Lxxix. No. 1. January 1964. PP. 68 — 70.

85) J.L. Garvin; The life of Joseph Chamberlain Empire and World policy. Vol. 3. 1895—1900. (Macmillan and Co. LTD).Lonb—1934 PP. 231 — 232.

86) Arthur Marsden; Britain and The End of the Tunis Treaties1894 —1897. (E.H.R.) Supplement. P. 12.

87) F.O. 45/747. Salisbury to Clairford, No. 65. Conf. May 20, 1896.

88) Marder The anatomy of sea power. PP. 268 — 273 & PP. 569—580.

89) Marsden; British diplomacy and Tunis. P. 220.

90) Marsden, Britain and the End of the Tunis Treaties. P. 58.

٩١ — جوزيف تشمبرلين (١٨٣٦ — ١٩١٤م) كان ابنا لصانع أحذية تعلم فى جامعة لندن وعمل فى مجال التعليم حتى سنة ١٩٧٥م — تولى رئاسة هيئة التجارة ٨٠ — ١٨٨٥م — ثم رئيسا لادارة الحكومة المحلية ١٨٨٦ — قاد تضامن الأحرار فى مجلس العموم ١٨٩٢ . وأصبح وزيراً للمستعمرات من ٩٥ —١٩٠٣م ص ٤٨ .

Richard Shannon, The Crisis of Imperialism 1865 — 1915. Paladin) London,

٩٢ — روبرت آرثر جاسكوين سيسل . ثالث مركيز أوف سالسبرى (١٨٣٠ — ١٩٠٣) تعلم فى تشرش ايتون وكرست . جامعة اكسفورد . التحق بحزب المحافظين (٥٣ — ١٨٦٨م) عمل فى الصحافة . أصبح فيكونت

كرانبورن فى سنة ١٨٦٥م .. نال لقب مركيز فى سنة ١٨٦٨م أصبح سكرتيراً لحكومة الهند ٦٦ — ٦٧ ثم مرة ثانية فى ٧٤—١٨٧٨م . أصبح وزيراً للخارجية فى ٧٨—١٨٨٠م — عين رئيساً للوزراء ثلاث مرات فى ٨٥ — ١٨٨٦م وفى ١٨٨٦ — ١٨٩٢م وفى ١٨٩٥ — ١٩٠٢م .. وفى نفس الوقت شغل منصب وزير الخارجية ماعدا بضعة شهور سنة ١٨٨٦م ، ومن ١٩٠٠ — ١٩٠٢م .. كان خالا لآرثر بلفور .. كان يمتاز بالحذر وأحب العلوم الرياضية (اقترن اسمه بقضية تونس كثيراً) .. (ص ٤٨٩ .. ج .Ibid)

(93) Marsden; Britain and the End of the Tunis Treaties. P. 70.

(94) Marder; The Anatomy .... PP. 321 — 328.

(95) Marsden; British diplomacy and Tunis. PP. 221 — 222.

(96) Granville; Lord Salisbury and Foreign Policy. PP. 294—296.

(9) G.P. Gooch and Harold Temperly; British documents on the Origins of the war. Lond. 1926 Vol. ii.
„The Anglo-French Treaties of April 8. 1904— PP. 285—407.".

مراجع الدراسة

أولا : وثائق غير منشورة

موجودة فى

The Public Record Office. (P.R.O.)

١ — المراسلات مع تركيا

F.O. 78.

٢ — المراسلات مع فرنسا

F.O. 27.

٣ — المراسلات مع ايطاليا

F.O. 45.

٤ — أوراق لورد جرانفيل الخاصة

P.R.O. 30/29.

٥ — أوراق لودر تنسترون الخاصة .

F.O. 363.

٦ — أوراق لورد ارداغ الخاصة

P.R.O. 30/40.

ثانياً : وثائق منشورة

1) Parliamentry papers.

2) Hansard's parliamentry Debates. (Hansard).

3) Lord Newton; Lord Lyons. A Record of British diplomacy. 2 Vols. Lond. 1913.

4) Temperley and Penson; Foundations of British Froeign Policy from Pitt (1972). to Salisbury (1902) or Documents old and new Lond. 1938.

5) George Earle Buckle : The letters of Queen Victoria 3*rd* Serie. Vol. 1. 1886 — 1890.

6) Gooch and Harold Temperly, British Documents on the origines of the War. Lond. 1926. Vol. ii.

ثالثاً : تراجم وسير

(1 Balfour (Lady Francis); The life of George Fourth Earle of Lord Aberdeen. 2 Vols. (Hodder and Stroughton LTD.)Lond. 1923.

2) Cecil (Lady Gwendohlen); Life of Robert Marquis of Salisbury. 4 Vols. (Hodder and Stroughton LTD) Lond. 1921. Vol. ii.

3) Fitz maurice (Ddmond.); The life of Granville George Gower, Second, Earle Granville. 2*nd* Edit. 2 Vols. Lond. 1905.

4) Garvin (J.L.)) The life of Joseph Chamberlain. Empire and World policy. Vol. 3. 1895—1900. Lond. 1934.

5) Gwenn (Stephen) & Gertrude Tukwell; The life of Rt. Hon. Sir. Charles Dilke. 2 Vols. (John Murray) Lond. 1918.

رابعاً : مقـــــالات

1) Bailey (Frank E.); The Economics of Foreign Policy 1825—1850. 1850. ((The Journal of Modern History Vol. xii. No. 4. Dec. 1940). (J.M.H.)

2) Lee (Dweught E.); A memorandum Concerning Cyprus. 1878. (The Journal of M. Hist. Vol. iii. No. 2 June 1931. PP. 235—241).

3) Lee (Dweight E.) The proposed Mediterranean League of 1878. (The Journal of M. Hist. Vol. iii. No. 2 March, 1931).

4) Marder (Arthur); British Naval Policy in 1878. (The Journal of M. Hist. Vol. xii).

5) Marsden (Arthur); A. Britain and the End of The Tunis Treaties 1894 — 1897. (The English of Historical Review. Supplement No. 1).

6) B. Britain and the Tunis Base 1894—1899.
(The English Hist. Rev. Vol. Lxxix No. 1. 1964).

7) Walters (Eurof); Unpublished Documents. Lord. Salisbury's refusal to revise and renew the Mediterranean Agreements. (The Salvonic and East Europe Review Vol. 29).

خامساً : مؤلفات بلغات أوربية

1) Benians (E.A.); The Cambridge history of British Empire. Vol. ii. The Growth of the New Empire. 1783 — 1876. Cambridge 1940.

2) Bourne (Kenneth); The foreign policy of Victorian England. 1830—1902. (Clarendon Press.) Oxford. 1970.

3) Brown (Carl); The Tunisia of Ahmed Bey 1837 — 1855. (Princiton) University Press. 1974).

4) Darcey (Jean), Cent Année de revalité coloniale. l'Afrique. Paris. 1904.

5) Flourney (Francis Rosebro): British Policy towards Morrococco in the age of Palmerston. 1830—1865. Lond. 1935.

6) Ganiage (Jean); Les origines du protectorate Francais en Tunisie 1861—1881. Paris. 1959.

7) Granville: Lord Salisbury and Foreign policy.

8) Hallet (Robin); Africa to 1875. (Heinmann) Lond. 1880.

9) Hoskins (Halford Lancaster). British Routes to India (Longmans Green & Co.) Lond. 1928.

10 Langer (William), The diplomacy of Imperialism 1890 — 1902. Lond. 1935.

11) Lee (Dweight E.); Great Britain and the Cyprus Convention policy of 1878 (Cambrdige Harvard University Press, 1934).

12) Marder (Arthur); The Anatomy of British Sea power. A history of British Naval policy in the re Dread-nought Eara. 1880 — 1905. New York. 1976.

13) Marsden (Arthur); British diplomacy and Tunis. 1875—1902. A case study in Mediterranean Policy. (Scotch Academic Press). Lond. 1971.

14) Medlicott. (W.N.); Bismark, Gladstone and the concert of Europe. (Univrsity of Lond.) 1956.

15) Mosely (Philip); Russian diplomacy and the opening of the Eastern Question in 1838 and 1939. Russel and Russel.) New York. 1969.

16) Platt (D.C.M.); Finance, Trade, and Politics in British foreign policy 1815—1914. (Carendon Press.) Oxford. 1968.

17) Roux (Francois Charles); Autour d'une Route L'angleterre, l'Isthme de Suez et l'Egypte au xviii*e* Siécle. Paris. 1922.

18) Staley (Eugene); War and the private Investor. A study in the relations of international poitics and international investement New York.

19) Shannon (Richard); The Crisis of Imperialism. 1865—1915. Lond.,

20) Taylor (A.J.P.) The striggle for mastery in Europe. The Oxford history of Modern Europe. Oxford. 1957.

21) Woolf (Leonard Sidney). Empire and Commerce in Africa. Lond. 1919.

22) The Cambridge of Modern history. Vol. ix. Cambridge. 1907.

ملحقات

مجموعة مختارة من الوثائق غير المنشورة

من محفوظات وزارة الخارجية البريطانية (F.O.)

F.O. 102/49 — 1 —

Translation from the Arabic.

Parise to God

To the select among the great and the Noble, whose praises are re-echoed in every land-; The Glory of the Eminent, whose virtues no words can sufficiently describe, the Minister for foreign Affairs of Great Britain Lord Clarendon, may he ever be exalted, and never cease to be guarded by Presidential care

After the salutations the most convenient to Your Lordship,

We wish indeed that our communications could find opportunities for being renewed every minute, rather than every hour, according to the rules of in timate friendships.

The Bearer is our Minister of Marine, the trusty, confidential and dearest, the select among his Equals for the nobility of his rank, our Son General Keredine whom we have permitted to visit London, considering that the accomplished cannot see enough of it; we accompany him with this letter, and have desired him to proceed to your Lordship's presence, (should you so far honor him as to allow him to do so) for the object of expressing ou feelings of friendship and amity towards your Great Government, as well as the extent of our reliance and confidence in it.

That your Lordship may honor him with a hearing, is what we trust he may obtain from your Lordships friendship, and what we know from your favor.

My you live Long, and may your grandeur be everlasting, on the passage of days and nights

Written by your Lordship's Friend, the humble Servant of God, Mohammed Basha Bey of the Tunisian Kingdom, the 1*st* Regeb (25 February, 1857).

A true Translation
M'Santillana.

تعليق :

نلاحظ هنا أن الباى يرسل هذه السفارة فى سنة ١٨٥٧م أى عقب اتفاق باريس سنة ١٨٥٦ عقب حرب القرم ينشد الصداقة البريطانية ، وكان قد قدم للسلطان العثمانى – وبتشجيع من بريطانيا التى وقفت مع السلطان فى حربه ضد روسيا ، وبطلب من السلطان – مساعدة عسكرية نقلت على سفن بريطانية ، فى الوقت الذى لم تحبذ فرنسا هذه المساعدة جريا على سياستها فى الفصل بين تونس – التى تراها ولاية مستقلة لاتربطها بالدولة العثمانية أى رابطة سوى الاتفاق فى الدين ، ويلاحظ كذلك أن الباى يستخدم عبارة (المملكة التونسية) معتبراً نفسه مستقلا عن الدولة العثمانية ، وكما عبر عن ذلك حين قال عن المساعدة التى قدمها للسلطان فى حرب القرم أنه فعل بدافع من الشعور الاسلامى لا بحكم أنه وال خاضع للدولة العثمانية .

— 2 —

F.O. 102/74. From Vice Admi (Admiral) Ismast

Malta 3May 1864. 12,35 P.M.

The Secretory of the Admiralty .....

"Three Frensh ships of the levant and troop Under Mr. Admiral have arrived at Tunis where all is tranquil at present. Three Italian Frigates have arrived at Tunis. Pellesiers aide camp is a Tunis. It is said that Frensh Consul General has insisted upon Bey's removing minister. On the Bey's declining he threatend to send Frensh officer to manage Bey's affairs, and it is said that five thousand French Troops are on the frontier".

— 3 —

F.O. 102/74 Admiralty

7 May 1864

Sir,

I am commanded by my lord Council of the Admiralty to aquaint you that a Telegram — as follows — dated Malta 6*th* May has been received from Vice-Consul. March Vigt.

„Consul General of Tunis has asked me if I am

prepared to anthorise landing of mariners if requested by Bey in case French or other troops are lauded".

Ammot Esf. Foreign Officer.

My lord's reponse, you will move Earl Russell because (?) me to be informed what answer should be sent to xice admiral Mast.

I am .....

Sir

Your most obdeient Servant.

P.S. My lords have informed Admiral mastly Telegraph that mariners are to be landed at Tunis withour further Oders and that Captain Wode (of the Millance) is to give every assistance in his power to the British Residents who may desire to embark and to afford them such protective as the means at his disposal will afford, without having been from his ship.

— 4 —

F.O. 102/90

Tunis

No. 10 January 29. 1871.

My Lord,

I have the honour to transmit herewith for your Lorship's consideration a copy of a Despatch, which, owing to the unsatisfactory sate of the relations between Italy and Tunis, I have thought it prudent to address to the commander - in chief of Her Majesty's Naval Fofces in the Mediterranean.

I have the honour to be, My Lorf,
with the greatest respect,
Your Lordship's most obedient
humble servant.
Richard Wood

(to)
The Right Hon*ble*
The Earl Granville. K.G.
Foreign Office.

مصادر التحقيق

١ ــ الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط ، القاهرة ، ١٩٧٣

٢ ــ درة الحجال فى أسماء الرجال ، ابن القاضى (أبو العباس أحمد ابن محمد المكناسى ، تحقيق د . محمد الأحمدى أبو الأنوار نشر المكتبة العتيقة بتونس ، ودار التراث بالقاهرة ، ١٩٧٠ ــ ١٩٧٢ .

٣ ــ الكتيبة الكامنة فى من لقيناه من شعراء الأندلس من شعراء المائة الثامنة ابن الخطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، ط ، بيروت

٤ ــ لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة .

٥ ــ نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان لابن الأحمر تحقيق الداية ، دار الثقافة ، بيروت .

٦ ــ نفخ الطيب ، المقرى ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨

حرف الضاد

٣٩	يشوق فؤادى زهر الرياض	ابيضاض	المتقارب	٣
٤٣	قالت أتحبه على عارضه	عارض		٢
٢٧	أراعى درارى زهر الرياض	ابيضاض	المتقارب	٢

حرف الطاء

٦١	والدوح يسقيها الحيا سر الصبا	تخليط	الكامل	٤

حرف العين

٣٨	غذيرى من ساجى اللواحظ فاتن	بدعا	الطويل	٢

حرف الفاء

٥٤	الموطئين الخيل من أقرانهم	يشرف	الكامل	٥
٥٣	غرناطة مصر ألا هى أشرف	يوسف	الكامل	٢

حرف الكاف

٦	تباين فى القول قدمات لم يمت	مشكك	الطويل	٢
٦٣	يا دمع أجفانى اطرد	انتك	الكامل	٤
٥١	طير يغنى ومزاهر تبكى	ضحك	السريع	٣

حرف اللام

١٠	يارب أوحد للضنا بجفونه	أوجال	الكامل	٢
١٧	إذا ما النوى أذكت بقلبى جمرة	غليل	الطويل	٣
٧	سفهنى عاذلى عليه	عليل		٢
١٢	يقولان أقصر قد أضربك البكا	معول	الطويل	٢

٢٣	دعونا الخطيب أبا البركات	الأجل	المتقارب	٤
٣	أجاذبة بالفكر فهو منادمى	بديلا	الطويل	٢

حرف الميم

٥٧	أفدى التى لولا سقام سرى	السقام	السريع	٣
٥٦	لاحت وقد أرخت فضول الوشام	الغمام	السريع	٥
٥٨	يامن لصب خانه كتمه	المنام	السريع	٣
٤٩	اشمس الغرب حقاً ما سمعنا	الإقامة	الوافر	٣

حرف النون

٣٤	وروضات آداب تداعو الروضة	عين	الطويل	٤
٢٢	ما رأى عين صنصر فى صفاء	بعين	الخفيف	٢
٢٨	ديوان نظمك مطلبى فاسمع به	بالاحسان	الكامل	٥
١٦	عمز لحظ وكسرة فى اللسان	ألبسانى	الخفيف	٣
٤٥	أية خليلى كم تطيل الكرى	ثمن	السريع	٥

حرف الهاء

٢٦	ما على من به سقامى وبرئى	لاه	الخفيف	٢

حرف الياء

١٩	أنا فوق عطف الملك أسعد ملبس	سمس	الكامل	٤
٦٠	عمر الحيا عطف القضيب المنتشى	العشى	الكامل	٥
٥	قلت والشعر يشى فى خده	على	الرمل	٢
١٨	يا قاضياً أصبح ذا سيرة	مارية	السريع	٣